



أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام.. هو دثارُك وشعارك أيها المسلم، فلا تخرج من السعة إلى القوالب الضيقة؛ فالإسلام كله لك جادة ومنهجاً، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة.. وأعيذك بالله أن تتصدع، ف تكون نَهَاباً بين جماعات وريات وانتماءات وفصائلية.. تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.. فكم أوهنت تلك الانتماءات الضيقة حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.. فاحذر رحمك الله أحذاباً، وطوائف طاف طائفها، ونجم بالشر ناجمها، فما هي إلا كالميزيز، تجمع الماء كَدَرَا، وتُفرِّقَ هَدَرَا؛ إلا من رحمة ربك.

(١) الائتلاف أمر الله ورضوانه، والتشعب والتفرق من لعب الشيطان بابن آدم:

لقد أمر الله تبارك وتعالى هذه الأمة بالاجتماع والائتفاف ووحدة الكلمة ورص الصوف ونبذ التنازع والتفرق والاختلاف، وترك الشقاوة والتفرق والتحزب، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْرَقُوا وَإِذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذْتُكُمْ مِنْهَا كَذَلِكُ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ﴾ [آل عمران:103]. ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الدِّينَ يُقاَلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف:4].

وقال أيضاً: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أُوحَيَنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أُقِيمُوا

قال صلى الله عليه وسلم: **(إِنَّ اللَّهَ يَرْضِي لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَأَنْ تَعْصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرُّقُوا وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةُ الْمَالِ)** [1]

ولقد تفتتت الأمة اليوم وتشريدت لما ضحك علينا الشيطان وقسمنا شيئاً وظائف، وبدرنا أقساماً وأحزاباً، كل حزبٍ بمالديهم فرحون، وكل طائفةٍ بما عندهم مقتنعون **﴿فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ﴾** [المؤمنون:53]. قد نجح الشيطان في تفريق قلوبنا، وشقّ صفوتنا؛ ووصل إلى أعماقنا ودواخنا، وزرع فيها الضغائن والأحقاد، والكرامية والحسد؛ فصرنا مختلف على أبسط الأشياء، ويهجر بعضنا بعضاً على أتفه الأمور، فضلاً عن التناحر والاقتتال، ولكنه رجسُ الشيطان وخبيثه، وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ يقول: **(إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَ الْمُصْلُوْنَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكُنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ).** أخرجه مسلم/2812

عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: (كان النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا تَفَرَّقُوا فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي الشَّعَابِ وَالْأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ). [2]

فلم ينزلوا بعد ذلك منزلًا إلا انضم بعضهم إلى بعض.

2) التَّفَرُّقُ يُوهِنُ بِيَضَّةِ الإِسْلَامِ:

قال تعالى **﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفَشَّلُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾** [الأనفال:46]. أتى بفاء التعقيب فقال ناهياً لنا عن التنازع والاختلاف **﴿وَلَا تَنَازَعُوا﴾** فإذا حصل التنازع والاختلاف ذكر مباشرةً عاقب ذلك فقال **﴿فَتَفَشَّلُوا﴾** وليس الفشل وحده فقط وإنما أيضاً **﴿وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ﴾** أي تضعف قوتك وتتلاشى هيبتكم وتصيروا لقمة سائفةً لعدوكم.

وللننظر المزيد من الفشل الذريع وتبدِّل القوة وذهاب الهيبة، وحلول الوهن، إن أصررنا على التناحر والاختلاف الذميم فيما بيننا.

ها هو يجتمع العالم علينا ونحن مختلف.. وتکالب الأمم ضدنا ونحن نزداد تشتناً واختلافاً، وتزيد الهجمات علينا من كل حدب وصوب.. ومكرُ الليل والنهر ضدنا جميعاً، ونحن منشغلون ببناء أمجادٍ ممزقةٍ موهومة!

في الوقت الذي يتحتم علينا أن نجتمع على أعدائنا، فإذا بنا نكشفُ ظهورنا لهم، ونُظهرُ خلافاتنا أمامهم، وندعوهم من حيث نعلم أو لا نعلم بأن يزيدوا في ضربنا والاستهانة بنا، لأنهم يروننا نكيدُ لبعضنا، ونتناحر فيما بيننا؛ فـأين عقولنا؟! أم أين ديننا الذي ندعيه ونحامي عنه، ونرفعُ شعاره ورأيته؟!

بل من المخزي أنَّ المتربيَّصَ بـنا صار يحرِّكُنا كالدمى بسبب خلافتنا وولاءاتنا الضيقـة، التي مزَّقت عباءةَ الإسلام، لتفصـيل انتماءاتٍ مشوهةً ممسوحةً!

فهذا عدونااليوم يبلغُ قمةَ صَافَه ويطشهِ بأهالنا في داريا، فيُمطرُهُم الموتَ في كلِّ لحظةٍ.. وفي حلب وإدلب حيث لم تمهلهم غاراتُ البطش، وأسلحةُ الدمار الشامل وقتاً ليتنفسوا.. أو يذوقوا للعيد طعمًا أو لوناً..

ألا فإننا بخلافنا وتناحرُنا وتفرقُنا نحملُ كفلاً عظيماً من هذا الإجرام.. بل لعلنا شركاء به، شعرنا أم لم نشعر بذلك!

فلو جمعنا كلمتنا، وشبكتنا أيدينا، ورصصنا صفناً، لقلينا المعادلة على العالم كله، ولوقفنا سبباً عظيماً أمام يد البطش والإجرام التي أبادت شعبنا.

بل العجب لما يصل الخلاف بيننا إلى أن نستبيح دماء بعضنا، ونسقط على سلاح بعضنا، ونفرجَ بتحرير بعضٍ مما تحت أيدي بعضنا!! طاشت العقول، ورق الدين في النفوس.

ألا فليعلم هؤلاء أن النبي صلى الله عليه وسلم بريءٌ من هذه حالة، فعن الحسن، قال: **(شَهِدُتُهُمْ يَوْمَ تَرَامَوا بِالْحَصَى، فِي أَمْرٍ**

عُثْمَانَ حَتَّى جَعَلَتُ أَنْظُرُ فَمَا أَرَى أَدِيمَ السَّمَاءِ مِنَ الرَّهْجِ ، فَسَمِعْتُ كَلَامَ امْرَأَ مِنْ بَعْضِ الْحُجَّاجِ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ، فَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: إِنَّ نَبِيًّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَرَى مِنْ فَرَقٍ بَيْنَهُ وَاحْتَرَبَ . [3]

مع أنهم أسمان شرعية، المهاجري والأنصاري، لكن لما كان هناك موالة ومعاداة عليهم، ونصرة في هذين الاسمين، خرجت عن اسم الإسلام بعامة، صارت دعوى جاهلية.

(3) إعلام الفسائل والجماعات أن لاشعار ولا اسم إلا الإسلام:

عن جابر رضي الله عنه، قال: (غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه الناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصارياً، فغضب الأنصاري غضبا شديدا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (ما يألك دعوى أهل الجاهلية)، ثم قال: (ما شأنهم)، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (دعوها فإنها خيبة). [4]

قال العلامة ابن القيم: العلامة الثانية - عند علامة أهل العبودية - قوله: ولم ينسبو إلى اسم أبي: "لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس" من الأسماء التي صارت أعلاما لأهل الطريق، وأيضا فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال، فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة، فلا يُعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لدعائها على اختلاف أنواعها؛ فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم، فلا يتقييد برسم ولا إشارة ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعى اصطلاحى، بل إن سُنْنَة عن شيخه، قال: الرسول صلى الله عليه وسلم، وعن طريقه، قال: الاتباع، وعن خرقته قال: لباس التقوى، وعن مذهبه قال: تحكيم السنة، وعن مقصوده ومطلبه، قال: يريدون وجهه، وعن رباطه وعن خانakah، قال تعالى: {فِي بُيُوتِ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ} (36) رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكوة} [النور]. وعن نسبة قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه *** إذا افترخوا بقياس أو تميم

(4) سبب الخلاف إنما هو البغي والهوى:

عندما أخبر الله عن أهل الكتاب واختلافهم، كشف سبب تفرقهم مع ما عندهم من العلم الذي كان يجب أن يجمعهم، ويحسم الخلاف الذي وقعوا فيه، وما ذاك إلا لبغي بعضهم على بعض، يقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَغَيَا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكُفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [آل عمران:19]. ، وقال سبحانه وتعالى: {وَمَا تَرَقُّوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَغَيَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمٍّ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٌ} [الشورى: 14].

قال أبو العالية عن قوله تعالى: {إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءُهُمُ الْعِلْمُ بَغَيَا بَيْنَهُمْ}؛ بغيا على الدنيا وطلب ملتها وسلطانها، فقتل بعضهم بعضاً على الدنيا من بعد ما كانوا علماء الناس . [تفسير الطبرى: 3/142].

وقال الطبرى في معناه: أنه أتوا ما أتوا من الباطل على علم منهم بخطأ ما قالوه، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلاً منهم، ولكنهم قالوه واختلفوا فيه تعدياً من بعضهم على بعض، وطلب الرياسات والملك والسلطان . (تفسير الطبرى: 3/142)

فالذى فرق أهل الكتاب هو تنازعهم على السلطة والملك، وحب الرئاسة والظهور والسعى لحصول ذلك ولو بظلم الناس وأخذ أموالهم وقطع رقابهم.

اللهم ألهمنا رشد أنفسنا، وارزقنا كلمة الحق في الغضب والرضا، واجمع كلمتنا واهد قلوبنا.

2 - إسناده صحيح، أخرجه عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الصغرى/526، وأبو داود/2628

3 - حديث حسن، الجامع في العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل، رقم 334.

4 - البخاري/3518

المصادر: